المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذى الطول لا إله إلا هو إليه المصير ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى أله وصحبه أجمعين .

أما بعد ...

١ــ قبل البدء في المسير :

إذا كانت الشورى واجبة كما قرر ذلك القرآن ، فلماذا رضي الكثير من أبناء الأمة بالتنازل عنها في حكم دولتهم ، وسكتوا بذلك على كل جبار متكبر ، وأيدوا المتغلب وبايعوا الحكام جميعهم ، صالحهم وطالحهم ، صغيرهم وكبيرهم حتى كان للمسلمين خلفاء رضع لما يبلغوا مرحلة الطفولة ... ناهيك عن البلوغ ناهيك عن الرشد والخبرة ، وصاروا يخرجون لهم العذر تلو الآخر ، ويبحثون عن مخرج فقهي لتقرير تلك الأوضاع ، وبعد أن كان العلماء يؤيدون الخلفاء ما أقاموا فيهم الصلاة ، ولم يجهروا بالمنكر ، وأمروا بالمعروف وأقاموا الدعوة للإسلام ، ظل هناك تنازل رهيب في المطلوبات من الحكام حتى نرى الفقيه الباقلانى [١] يقر بإمامة الحاكم ولو قتل النفوس وغصب الأموال وضيع الحقوق وعطل الحدود ودعا إلى معصية كما ذكر ذلك الدكتورعبد الله النفيسى [٢] في بحثه القيم الفكر السياسي الإسلامي في ضوء

---

(١) القاضي أبو بكر محمد بن الطيب البغدادي الأشعرى والمالكي .

(٢) مفكر إسلامى ، مواليد الكويت عام ١٩٤٥ ، يحمل شهادة الدكتوراة في العلوم السياسية من كلية=

كتاب الغياثي .

سبحان الله اى شيء بقى لنا بعد كل هذا قتل وغصب وضياع للحقوق وتعطيل للحدود ودعوة إلى معصية فماذا تبقى من الأمة إذا !!

إذا كانت الشورى هي فلسفة الحكم في الإسلام كما يوضح ذلك الدكتور محمد عمارة [١] ، فما هي الفلسفة أو الفكرة التي تقوم عليها الشورى نفسها في الإسلام ؟ هناك أبحاث ومؤلفات كثيرة لعلمائنا الفضلاء عن الشورى ولكنها مازالت تحتاج إلى جهد كبير وعمل متواصل حتى تتمكن الكتابات السياسية للوصول بفكرة الشورى إلى نظام سياسي يدفع المسلمين إلى التمسك بحقهم في اختيار حكامهم ، ومحاسبتهم ، وكذلك كنظام يمكن تسويقه أمام العالم على إنه النموذج الإسلامي السياسي ، والخروج من ربقة الكتابات التنظيرية لعقود من الزمان دون طرح برنامج سياسي يعرف الناس بماذا في إمكاننا أن نفعل لننقذ البلاد من ربقة الاستبداد و ذل الاستعباد .

وقبل أن نشرع في بيان الشورى وأزمتها في الواقع المعاصر وكيفية تحويلها لنظام أمان للمجتمعات الإسلامية لابد أن نجيب على بعض الأسئلة التي طرحها الكثير من المفكرين والباحثين والعلماء ، وهى أساس لكل من أراد أن

= تشرشل بجامعة كامبردج - بريطانيا عام ١٩٧٢ ، أستاذ زائر في عدة جامعات مثل معهد «هوفر» للعلوم السياسية في جامعة هارفارد ، إضافة إلى جامعتي بكين وموسكو.

(١) المفكر الإسلامى الكبير ، مواليد ١٩٣١ ، درس الدكتوراه في العلوم الإسلامية تخصص فلسفة إسلامية ، كلية دار العلوم ، جامعة القاهرة ١٩٧٥ ، له أكثر من مائة وخمسين مؤلفا فى مجالات متعدده فى الفكر الإسلامى .

يتعرف على الشورى كمخرج حتمي لما نحن فيه ، وهى ما نتركها للقارئ لكي يخلو بها مع نفسه ولعلها تفتح مجالا للفهم لدى القارئ الكريم .

ما هي الشورى وما هي أشكالها وأنواعها وما هو مناطها وما هي فلسفتها ؟

هل تعريف الشورى لباسا فضفاضا يمكن أن يتم تركيبه على كل الأنظمة وكل الدول والحكومات ، فالخلافة الراشدة كانت شورى ، والملك العضود كان شورى ؟

هل يتم مساواة الحاكم المتولي عن طريق الشورى بولاية المتغلب واعتبار أن بيعة العلماء له نوع من الشورى ، ثم كيف يمكن أن نساوى هذه بتلك ؟

هل تخضع الشورى لمعايير محددة بحيث نستطيع من خلالها الحكم على الدول التي تعتمد نظام الشورى من الدول الكلامية الديكتاتورية ، فمثلا إذا نظرت إلى كتب التاريخ فإن العلماء يعتبرون استشارة الواحد شورى والاثنين شورى والمائة كذلك وإذا أخذ الحاكم برأيهم فالشورى ملزمة ، وإذا لم يأخذ فهي معلمة ، وكثير من هذه الكلمات التي شوشت على الأمة عقودا وقرونا من الزمان ، وما مدى إمكانية التوفيق بين تلك الأقوال للخروج بمنظومة علمية متكاملة ؟

لماذا حتى الآن لم نر نظرية علمية لعالم أو مفكر أو هيئة توضح فيها آليات ثابتة أو مقترحة للشورى ، وتقوم بعرضها على أنها حلول إسلامية وهل يمكن الاقتباس من الغرب أو من أي نظام آخر ؟

هل يمكن أن تساهم الشورى في مرحلة توعية الشعوب بأحقيتها في حكم

يقوم على رأيها وأداء حقوقها عليه ولها الحق في اختيار من يحكمها ؟

أليس للمسلمين الحق في أن يختار علماؤهم من يمثلهم مثل الأزهر الشريف والإفتاء والأوقاف ، ثم إذا كانت الهيئات الإسلامية مبتلاة بداء التعيين فماذا تنتظر من الشعوب وباقي الهيئات ؟

كيف يتعلم الطفل الشورى ، و قد تم تربيته بالقهر في بيته وبفرض الآراء عليه ، ولا يشارك في صنع القرار في بيته ، ثم نريد أن يشارك في صنع القرار في بلده ومجتمعه ؟

الكل يعرف ما هي الشورى ولكن ما هي فلسفة الشورى الحقيقية بحيث يصير العبد لا سلطان عليه إلا لله ﷻ ؟

ما هى أوجه الفرق والتشابه بين الشورى والديمقراطية ؟ وهل ما بينهما علاقة تكامل وتصالح أم تخاصم وافتراق ؟ وهل يمكن تطبيق الآليات الديمقراطية واستخدامها كنظام إسلامي .

ما هي أسباب الخلاف بين دعاة الشورى ودعاة الديمقراطية ؟

هل هناك نظرية عامة للشورى وما هو محور هذه النظرية إن وجدت ؟

هل هناك علاقة بين فقدان الشورى في العالم العربي والإسلامي وبين تبديد كل أسباب الارتقاء والتقدم ، وبين تفشى الظلم وزيادة معدل الفساد بمتوالية ملحوظة عصرًا بعد عصر ؟

إن شيخ الأمة محمد الغزالي [1] يقول كلاما يوضح حقيقة الموقف المرتبك

---

(١) شيخ الإسلام فى عصره ، والعالم ، والمفكر الإسلامى ، ورائد الصحوة الإسلامية ، مواليد عام ١٩١٧م .

حول الشورى فيقول : «إن الاستبداد السياسي داء دوى وليس أسوأ منه إلا تجاهل أثره والتعامي عن خطره ! وللشورى مفهوم غامض عند بعض المتحدثين الإسلاميين ، ومفهوم مضاد لحقيقتها عند بعض آخر ، ولو وقع زمام الأمور في أيديهم لأعادوا حكم الملك الغوري في القاهرة ، أو السلطان مراد في الأستانة ، وأحدُّهم ذكاءً من يعيد السلطة لصاحب الكلمة الفاجرة أمير المؤمنين هذا ، فإن هلك فهذا ، فمن أبى فهذا ـ مشيرا إلى سيفه!!!!

وهذه الميوعة في مفهوم الشورى الإسلامية لا تزيد المسلمين إلا خبالا وفوضى ، وسببها قلة الفقهاء وانعدامهم في ميدان الدعوة ، وازدحام هذا الميدان بذوي المعلومات الكاسدة أو التجارب القليلة أو الحماس الأجوف» .

إن الموقف الغريب والمحير للمسلم في العصور المتأخرة تبعث على التأمل والبحث في الأسباب التي أدت بنا إلى هذه الحال يقول الكواكبي [1] ~ في الفرق بين الإنسان الشرقي والإنسان الغربي «وهكذا بين الشرقيين والغربيين فروقٌ كثيرة ، قد يفضل في الإفراديات الشرقي على الغربي ، وفي الاجتماعيات يفضل الغربي على الشرقي مطلقًا. مثال ذلك : الغربيون يستحلفون أميرهم على الصداقة في خدمته لهم والتزام القانون . والسلطان الشرقي يستحلف الرعية على الانقياد والطاعة ! الغربيون يَمنّون على ملوكهم بما يرتزقون من فضلاتهم ، والأمراء الشرقيون يتكرَّمون على من شاؤوا بإجراء أموالهم عليهم

(١) العالم السورى و المفكر والفقيه والمحامى والكاتب الكبير صاحب الكتاب الرائع طبائع الإستبداد ومصارع الاستعباد ، مواليد عام ١٨٥٤ ، وتوفى بمصر مسموما عام ١٩٠٢ ورثاه حافظ إبراهيم فى قصيدة رائعة .

صدقات! الغربي يعتبر نفسه مالكًا لجزءٍ مشاع من وطنه ، والشرقيّ يعتبر نفسه وأولاده وما في يديه ملكًا لأميره! الغربي له على أميره حقوق ، وليس عليه حقوق؛ والشرقي عليه لأميره حقوق وليس له حقوق! الغربيون يضعون قانونًا لأميرهم يسري عليه ، والشرقيون يسيرون على قانون مشيئة أمرائهم! الغربيون قضاؤهم وقدرهم من الله؛ والشرقيون قضاؤهم وقدرهم ما يصدر من بين شفتي المستعبدين! الشرقي سريع التصديق ، والغربي ينفي ولا يثبت حتى يرى ويلمس. الشرقي أكثر ما يغار على الفروج كأنَّ شرفه كلّه مستودَعٌ فيها ، والغربي أكثر ما يغار على حريته واستقلاله! الشرقي حريصٌ على الدين والرياء فيه ، والغربي حريصٌ على القوة والعزّ والمزيد فيهما !

٢ـ في بداية الطريق :

مع وجود الخلل الفطري في النفوس البشرية وعدم الكمال إلا لله وحده وموت العصمة بموت رسول الله ﷺ ، أوجد الإسلام الحل العملي والعبقري في إدارة شؤون الدولة وإقامة النظام السياسي للدولة ، وهو نظام الشورى في خلق السلطة والحكم عليها ، فالشورى في الإسلام هي نظام و فريضة ومبدأ وخلق حث عليها الإسلام وأوجبها الشارع وألزم الأمة بها ، وعلى أساسها يتم العقد بين الحاكم والمحكوم.

«لقد دخل أبو مسلم الخولانى [١] على معاوية فقال : السلام عليك أيها الأجير ، فقالوا قل : السلام عليك أيها الأمير . فقال : السلام عليك أيها

(١) التابعى الجليل اليمنى يعقوب بن عوف أبو مسلم الخولانى ، أحد المخضرمين الذين أسلموا أيام الرسول ولم يلتقوا به .

الأجير. فقال معاوية : دعوا أبا مسلم فإنه أعلم بما يقول . فقال أبو مسلم : إنما أنت أجير أستأجرك رب هذه الغنم لرعيتها فإن أنت هنأت جرباها ، وداويت مرضاها ، وحبست أولاها على أخراها. وفاك سيدها أجرك ، وإن أنت لم تهنأ جرباها ، ولم تداو مرضاها ، ولم تحبس أولاها على أخراها عاقبك سيدها» [١] .

إن بداية الطريق يجب أن نعلم أن هذا هو طبيعة العقد المبرم بين الراعي والرعية في الإسلام ، سواء أن تم تنفيذه على إطلاقه ، أو تم تقييد جزء منه ، أو تقييده بالكامل ، فالواضح أن طبيعة ومسئولية الأمراء كانت واضحة في الصدر الأول من الإسلام لكل من الحاكم والمحكوم ، وهذا ما جعل معاوية يقول لمن حوله دعوا أبا مسلم فإنه أعلم بما يقول .

وقد قام رجل إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب وقال له : اتق الله يا عمر ، وسأله آخر من أين لك هذا الثوب يا عمر وأنت طويل القامة ، فجعل أمير المؤمنين يرسل إلى ابنه ليخبرهم أنه أعطى قطعته إلى أبيه ، ومهما حدث بعد ذلك من أفعال للحكام وتبريرات للعلماء فسيبقى القرآن والسنة هما المنبع الأصيل العذب الذي تستقى منهما الأمة فقهها وشرعها ، ولا يجوز لنا أن نتنازل عن هذا الحق الذي أعطانا الله إياه ، فالسلطة والإمارة هما حق للأمة وواجب عليها تمنحهما من تراه منها قيما أمينا ليقوم بينهم بالحق ، ويسوس الناس بالعدل مقابل أجر من مال الأمة يستقطع له نظرا لتفرغه لإدارة شؤون المسلمين ، ولهذا فهو أجير وقد قال تعالى : ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى:٢٨] ،

---

(١) ابن تيمية : السياسة الشرعية ، باب أداء الأمانات .

فهل نتنازل نحن عن هذا الحق ؟

لقد بدأ الحاكم في الإسلام أجيرا وظل يتنامى دوره وسلطته حتى أصبح متفضلا ومتكرما على الأمة ، ثم ملكا عليهم ، ثم معصوما ، ولا أحب أن أقول إلاها ـ وإن جعله البعض كذلك ـ ولكن والحمد لله فما زال هناك من المسلمين والعلماء يقدمون الغالي والنفيس ويبذلون من حريتهم وصحتهم وأموالهم في سبيل تحقيق العدل والحرية ، بل ويدفعون حياتهم ثمنا لكلماتهم ولكن أين دور الشعوب في تلك اللحظات ؟

يقول الباحث الدكتور محمد المختار الشنقيطي [١] : «إن الحكام لن ينصفونا إلا بدفع ثمن الحرية . فإذا أدرك الحاكم الجائر أن للاستبداد ثمنا ، وأن الحرية سيتم انتزاعها انتزاعًا ، فلن يتعامل باستهتار مع اختيار شعبه ، ولن يسعى إلى فرض ديمقراطية انتقائية ترقيعية ، يفتح أبوابها لمن يشاء ، ويوصدها في وجه من يشاء . إن سنة المدافعة من سنن الله في خلقه ، وتحقيق المدافعة في نظام المجتمع هي التي تحمي من الفساد والاستبداد : ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ﴾ [البقرة:٢٥١] . فهل نطمع بعد هذه الحكمة القرآنية البليغة أن تنزل عليها الحرية من السماء ، أو تتفجر لنا من الأرض؟!» .

إن الشورى هي الحل الوحيد أمام تطرف الحكام المستبدين المغالين فالحاكم المستبد لا يردعه إلا قوة يستطيع بها المسلم عزل حاكمه من منصبه وتلك هي أحد مهام العلماء الرئيسية ، فمن لنصح الحكام إن تخلى العلماء وقيادات

(١) باحث وشاعر ومحلل سياسي ، مهتم بالفقه السياسي ، مواليد موريتانيا عام ١٩٦٦.

المجتمع عنها ؟

وممارسة رسول الله ﷺ للشورى تدعونا لذلك وهى كثيرة جدًا ، ومنها نزوله على رأي الأغلبية في غزوة أحد ، واستشارته للصحابة في يوم بدر ، والمتأمل في سيرة النبي ﷺ يجد أنه قد استشار عموم المسلمين ، وقد استشار الأنصار واستشار المهاجرين واستشار النساء والأطفال ، و قد استشار ﷺ في السفر والحضر ، وفى الحرب والسلم ، وفى حالات الضعف والشدة ، وقد أنزل النبي ﷺ في ذلك كل مشورة أهلها .

إن الشورى فرضت لتسعد حياة المسلمين بمشاركاتهم في كل ما يخصهم وما يتعلق بهم ، ولا شك عندي في أن الشورى جاءت لتجعل حياة المسلم أكثر استقرارا ، فالشورى في إدارة الدولة بقطاعاتها ومستوياتها المختلفة وهى في المدارس والجامعات وفى الأسرة والبيوتات ، وفى الزواج والطلاق حتى قررها الله تعالى في الرضاعة ، كل ذلك يجعل لدراسة الشورى وفلسفتها وأهدافها ومراميها ومناطها من الأهمية بمكان ، كما أن الناظر إلى العلماء الذين تناولوا هذا الموضوع في كتاباتهم وإن كثرت إلا وأنها لم تفرد لها كتابات بعينها إلا القيل جدا بالنسبة لما يكتب في موضوعات أخرى أقل أهمية من هذا الموضوع .

*****